الباب الثاني

الأطبـــــاء
فى القرنين
الهجريين الأوَّلين

مقدمة الباب الثانى

لم نعرف فى التاريخ أطباء مشـهورين خلال هذين القرنين فى مصر. سـوى الذين عملوا فى مدرسـة الإسكندرية ولحقوا بالإسلام ولعل السبب فى ذلك أن اللغة السائدة حتى سنة ٨٥هـ/٧٠٤ م كانت اللغة القبطية، ولكن فى هذه السنة أصبحت اللغة العربية هـى اللغة الرسمية فى البلاد. نضيف إلى ذلك أن هـذه الفترة كانت فترة ترجمات من الإغريقية والسريانية إلى العربية. ولم تكن هناك مؤلفات عربية صرفة فى مصر.

ومـن البدهى أن الطب فى هذه الفترة كان يعتمد اعتمـادا كليا على الطب الإغريقى والطب السكندرى. ونتوقع أن تكون أية مصنفات فى ذلك العهد مجرد شروح وإختصارات للمؤلفات الإغريقية. كما أن هذه الشـروح لم تكن باللغـة العربية إنما كانت فى معظم الأحوال باللغة السريانية.

وفى هذه الفترة كانت العلوم الشرعية هى التى تتصدر الدراسات والمعارف المطلوبة للمسلمين الجدد. ولم يكن هناك تدوين أو تسجيل لما قام به الأطباء. وبذلك لم يحفظ لنا التاريخ أسماء أو أعمال أطباء كثيرين خلال هذه الفترة من الزمان.

وفى الشام، حيث حاضرة الأمويين دمشق، أنشأ الوليد بن عبد الملك أول بيمارستان فى الإسـلام سـنة ٨٨ هـ وذكر الطبرى أن الخليفة المذكـور أمر بحبس المجذومين، وأجرى لهم الأرزاق، وكان هذا أول محجر شُـيِّد فى الإسـلام وقيل أنه كان فى الدولة الأمويـة مارسـتان فى زقاق القناديـل دار أبى زيد. وزقاق القناديـل – ويقال له زقاق القنديل – من أزقة الفسطاط.

ولاشـك فى أن الترجمات التى حدثت، إبان هذه الفترة فى العصر العباسـى كانت الأسـاس الهام لما ألفه الأطباء فى أنحاء الدولة الإسـلامية. وكان ممن عنى بنقل الطب يحـى بن البطريق وجورجيوس بن بختيشـوع وعبد الله بن المقفع ويوحنا بن ماسـويه وغيرهم

يحيى النحوى الاسكندرانى

نهاية القرن الخامس الميلادى

وكان اسمه الاسكلانى حتى لحق أوائل الإسلام. وهو من الأطباء الإسكندرانيين وقد كان أول أمره أسقفا فى بعض الكنائس بمصر، وكان قويا فى علم النحو والمنطق والفلسفة وقد فسر كتباً كثيرة من الطبيات ولتفوقه فى الفلسفة فإنه يلحق دائماً بالفلاسفة. ويقول ابن أبى أصيبعة: إنه وجد فى بعض تواريخ النصارى إن يحيى النحوى كان فى المجمع الرابع الذى اجتمع فى مدينة خلقدونية، وكان فى هذا المجمع ستمائة وثلاثون أسقفا مع أوتوشيوس وهو يحيى النحوى. وأتوشيوس تفسيره بالعربى أبو سعيد. وله لقب آخر هو فيلوبينوس أى المجتهد[1] واسمه باللاتينية Johanines grammaticus.

وليحيى النحوى كتب كثيرة، عدّها ابن أبى أصيبعة بنحو ثلاثين كتابا منها كتب لتفسير كتب جالينوس، مثل تفسيره لكتاب النبض الصغير وكتاب المزاج وكتاب تعرف علل الأعضاء الباطنة وكتاب الحميات وكتاب تدبيرالأصحاء وغير ذلك.

وقيل إن يحيى النحوى عاش حتى فتح المسلمون مصر، والتقى بعمرو بن العاص الذى أكرمه، ولو أن السامرائى ينفى ذلك ويذكر أنها أخبار وهمية[2].

عبد الملك بن أبجر الكنانى

كان طبيباً عالما ماهراً، وكان مقيما فى الإسكندرية، حيث تولى التدريس بها، وعندما دخل الإسلام مصر، أسلم بن أبجر على يد عمر بن عبد العزيز، وكان عمر بن عبد العزيز يستطب ابن أبجر، ويعتمد عليه فى صناعة الطب[3].

وروى الأعمش عن ابن أبجر قال: دع الدواء ما احتمل بذلك الداء. وروى سفيان عن ابن أبجر أنه قال: المعدة حوضُ الجسد، والعروق تشرع فيه، فما ورد فيها بصحة صدر بصحة، وماورد فيها بسقم صدر بسقم.

أهرن بن أعين

ويعرف باسم «أهرن القس» واشتهر بلقب «القس»، من تلاميذ مدرسة الإسكندرية فى زمن قريب من الفتح الإسلامى لمصر وربما أدرك أوائل الخلفاء الراشدين. عرف طبيباً وفيلسوفاً ورجل دين. عاش أكثر عمره فى سوريا..

---

(١) ابن أبى أصيبعة ٢/ ٣-٦

(٢) السامرائى ١/ ٢١٢

(٣) ابن أبى أصيبعة ٢/ ٢٤

ويذكر السامرائي[1] أنه ألف كناشا بالسريانية عام ٦٠٠ ميلادية ضمنه وصفا لمرض الجدرى، يعتبر من أوائل ماكتب عن هذا المرض، كما ضمنه عديداً من الموضوعات الطبية الهامة وهو فى ثلاثين مقالة. وقد ترجم جاسيوس الكتاب من لغته اليونانية إلى اللغة السريانية، وترجم ماسرجويه من هذه اللغة إلى اللغة العربية وزاد عليه مقالتين من عمله، ونشرت الترجمة فى أيام الخليفة الأموى عمر بن عبد العزيز (ت ١٠١هـ/ ٧١٩م) وربما كانت هذه الترجمة الأولى من سلسلة ترجمات الطب اليونانى إلى العربية[2]. ويقول فؤاد السيد[3]: إن العلماء والمشتغلين بتاريخ العلوم اهتموا بما أورده ابن جلجل عن ترجمة ماسرجويه لكتاب (كناش) أهرن القس بن أعين من السريانية إلى العربية لأهميته فى تاريخ العلم، ولدلالته على قدم الترجمة، ووجود خزائن للكتب فى صدر الدولة الإسلامية.

بليطـــان

ت ١٨٦ هـ / ٨٠٢ م

كان طبيبا مشهوراً بديار مصر، نصرانيا عالما بشريعة النصارى الملكية، قال سعيد بن البطريق فى كتاب نظم الجوهر : لما كان فى السنة الرابعة من خلافة المنصور من الخلفاء العباسيين صير بليطان بطريركاً على الإسكندرية، وكان طبيبا أقام ٤٦ سنة ومات. قال : ولما كان فى أيام هارون الرشيد، وولى الرشيد عبيد الله بن المهدى مصر، أهدى عبيد الله إلى الرشيد جارية من أهل البيما من أسفل الأرض (أى من دلتا مصر)، وكانت حسنة جميلة، وكان الرشيد يحبها حباً شديداً، فاعتلت علة عظيمة فعالجها الأطباء، فلم تنفع بشىء، فقالوا له ابعث إلى عبيد الله عاملك بمصر ليوجه إليك واحداً من أطباء مصر، فإنهم أبصر لعلاج هذه الجارية من أطباء العراق. فبعث الرشيد إلى عبيد الله بن المهدى يختار له من أحذق أطباء مصر من يعالج الجارية، فدعا عبيد الله بليطان بطريك الإسكندرية، وكان حاذقا بالطب، فاعلمه بحب الرشيد الجارية وعلتها، وحمله إلى الرشيد، وحمل بليطان معه من كعك مصر الخشن والصير (الملوحة) فلما دخل إلى بغداد ودخل إلى الجارية أطعمها الكعك والصير فرجعت إلى طبعها، وزالت عنها العلة، فصار من ذلك الوقت يحمل من مصر إلى خزانة السلطان الكعك الخشن والصير. ووهب الرشيد لبليطان مالا كثيراً، وكتب له منشورا فى كل كنيسة فى يد اليعقوبية مما أخذوها وتغلبوا عليها، أن ترد إليه، فرجع بليطان إلى مصر واسترد من اليعقوبية (قبط مصر) كنائس كثيرة، وتوفى بليطان فى سنة ١٨٦ هـ

يذكر المؤرخون أن أول بيمارستان فى مصر أنشأه أحمد بن طولون سنة ٢٥٩ هـ/٨٧٢ م، وقد أقامه بأرض مدينة العسكر. ويعرف باسم البيمارستان العتيق أو البيمارستان الأعلى وكان يشرف بنفسه عليه، وأوقف عليه أوقافا كثيرة، وشرط ألا يعالج فيه جندى أو مملوك. وألحق به حمامين أحدهما للرجال والآخر

(١) السامرائى ٢١٨/١
(٢) السامرائى ١ / ٢١٩
(٣) ابن جلجل، تحقيق فؤاد السيد – طبقات الأطباء والحكماء، ٦٢

للنســـاء. وكان فيه خزانة كتب فى أحد مجالس البيمارســـتان، وكان فيها ما يزيد على مائة ألف مجلد فى سائر العلوم.

ومن الجدير بالذكر أن أحمد بن طولون كان يزور البيمارستان كل يوم جمعة، وأنه شرط إذا جئ بعليل تنــزع عنــه ثيابه ونفقته وتحفظ عند أمين البيمارســـتان ثم يلبس ثيابا ويفرش لــه، ويغذى ويراح بالأدوية والأغذية والأطباء حتى يبرأ فإذا أكل فروجا ورغيفا أمر له بالانصراف وأعطى له ماله وثيابه.

وعلى رغم قصر مدة حكم الطولونيين فى مصر، الا إنهم خلفوا آثارا قيمة، وكان لهم العديد من الأطباء الذى عمل بعضهم فى البيمارستان، مثل :

محمــد بن عبدون الجيلى وســعيد بن توفيل وشمس الدين محمد بن عبــد الله بن عبد الرحمن المصرى مدرس الأطباء بجامع ابن طولون.

وقد عمل أحمد بن طولون فى مؤخرة جامعه ميضأة وخزانة شــراب فيها جميع الشــرابات والأدوية، وعليها خدم وفيها طبيب جالس يوم الجمعة لحادث يحدث للحاضرين للصلاة.

* * *